



في رواية «بنت من شاتيلا»، الصادرة حديثاً عن دار الأهلّة (عَمّان- 2019)، للروائي الفلسطيني أكرم مسلّم والتي جاءت بعد: «هواجس الإسكندر» (2003)، و«سيرة العقرب الذي يتصبّب عرفاً» (2008)، و«التبس الأمر على اللقلق» (2013). نلاحظ؛ ومنذ سطرها الأوّل، أنّها لا تعتبر الموت الذي حلّ بضحايا مجزرة صبرا وشاتيلا 1982 غياباً أو فناً. بل هو وجودٌ يحمل صيرورة الحياة لفلسطينيين قضاوا غدرًا بيد أرييل شارون الصهيوني و"شارونات" العرب.

البنيت التي من شاتيلا والتي كانت صغيرة، بنتاً في السادسة من عمرها حين وقعت المجزرة، ما تزال صورة المصوّر الذي كان يصوّر بعينٍ واحدة ضحايا المجزرة؛ تسكّن مخيّلتها، فيما صورتها التي أخذها لها وخلفها عائلتها باعتبارها الناجية الوحيدة من أسرة؛ "تضمّ سبعة أطفال وأمهم - إذ لم يعرف الناس أنّ الأمّ كانت حاملاً". تشكّل صدمةً فجائيةً لتضع الرواية في خانة (المُعارضة) ضدّ كل جمالٍ لا يرى قباحةً وشناعة ما فعله الصهاينة الإسرائيليون وأعدائهم في أرواح أربعة آلاف إنسانٍ فلسطيني تمّ تصفيتهم/ ذبحهم بأعصاب باردة في مخيمي صبرا وشاتيلا في لبنان. وهي المذبحة التي استمرت ثلاثة أيام بعد انسحاب المقاومة الفلسطينية من بيروت الغربية عام 1982، وتمّ فيها تقطيع أوصال، وعمليات اغتصاب، وفقاً لعيون لأطفال ونساء وشيوخ، والتمثيل في جثثهم، ومن ثمّ دفنهم في قبور جماعية، أو تركهم للحشرات تنهشهم في شوارع المخيمين، وللذباب الذي لن يترك الرواية والراوي والبنيت الحورية، دون أن يسمع أحد خارج المخيم عن تلك المجزرة إلا بعد أن انتهت.

الرواية وإن بطلاها التقيا صدفة في ألمانيا؛ وهما البنيت التي نجت من مجزرة صبرا وشاتيلا، وجاءت إلى ألمانيا لترميم جرح في وجهها، واستقرّت فيها حيث صارت تعمل ضمن فرقة مسرحيّة، أسّسها شبّان مغاربة، والشابّ الأنيق الذي كان في زيارة لألمانيا ضمن برنامج للتبادل الأكاديمي، إذ هو طالب دراسات ثقافيّة عليا في "جامعة بيرزيت"، ولكن ليتحوّل حضورهما الروائي إلى مغامرة إنسانية سيكولوجية اجتماعية أخلاقية سياسية تدفع قارئها للتأمل. فالروائي الفلسطيني أكرم مسلّم لا يثرثر، هو لا يصف الحياة لبطلية؛ أبطاله وصفاً إنشائياً. بل يقدم مادة ذات فلسفة قائمة على تجربة أصلية لضحايا لم يعطوا فرصة الدفاع عن أنفسهم أمام تفاهة ووقاحة وخوار جلاذيتهم. أكرم مسلّم يعيدنا إلى المجزرة عبر شخصية البنيت التي صارت تعمل مع الفرقة المسرحية بدور "رجل جمل"، إلى ذاك الزمن من عام 1982 بكتلته وقسوته وكأته "حاضر" -حاضر مؤثر ومؤلم، مستخدماً وثائقية اجتماعية وتاريخية بدعائم بصرية- الصور؛ الضحايا والذباب الذي يضع بيوضه في أنوفهم، فيحرضنا على رؤية الحقيقة بعربها القاسي: "في الصورة تظهر الجثث



جميعها خلفي، لكن الكاميرا غيبة، غيبة. كان أجمل ما في أمي رائحتها، لكثها صارت مربعة بعد تلك الليلة. عندما تموت الأم تموت رائحتها، تصبح فطيسة. هذا مربع، مربع، ولا ترصده الكاميرا. لقد خيّرت ذلك جيداً".

الكاميرا لا ترى الرائحة؛ لا تصوّر رائحة الجثث -وهو ما يتقاطع مع رائحة جثة عجوز هامبورغ التي تقيم في شقة خلف الرجل الأنيق التي ماتت وصارت روائحها تنتشر في فضاء البناء. ثمة رابط قوي محرض - هو كيميائي يربط بين روائح جثث ضحايا صبرا وشاتيلا ورائحة جثة امرأة عجوز ماتت ميتة طبيعية.

أكرم مسلّم يصل ويقطع، ويقطع ليصل، يوصل صوت ضحاiana عبر هذا الرافع، رائحة أم البنت مع رائحة العجوز مع رائحة أبو البنت: "سمعت الحورية عن أبيها، ولم تسمع منه. تتذكّر رائحته أكثر من أي شيء آخر، إذ اعتادت أن تتشمّمه، وتتشمّم بعد رحيله ما يتركه من قمصان تتقصد أمها ألا تغسلها". إله: "يعقب ظل القائد العام: إله متطوّع جديد، قنّاص، وتحسب أنه يطلق النار من يده وليس من قطعة السلاح، صلبٌ وصبور على الرغم من حداثة تجربته وصغر سنّه، حتى لقبه رفاقه بـ "الجمل" لقدرته على الصبر. وها هو بعد كل هذه السنين يسافر إلى هامبورغ ليلتقي ابنته الحورية وليس في يديه هدية: "يهبط من الطائرة، ارتبكت وتحزّكت في داخلها مختلف التناقضات. لم تمتلك عندما احتضنها إلا أن تذرّف دمعين، اندفعت رائحته إلى أنفها فانوصل خيط الرائحة مع طفولتها. أحسّت بأنّ اليد الكبيرة التي وضعها على كتفها بعفويةٍ وحب، يدٌ أبٍ حقيقية، فتصدّعت جدرانٌ بناها الغياب في أزمنةٍ بالغة القسوة".

أكرم مسلّم في تقطيعاته وتنايلها، ومنها؛ الخالة التي صبرت ثلاثين عاماً على غياب زوجها مُهزّب السلاح في السجون السورية ومن ثمّ تتزوّج مُهزّب البلاستيك، وسيدة الأناقض، وعازفة الكمان، وسيدات الحنّاء، وغزة 2007. يربطنا بخيط المأساة الفلسطينية في سردٍ قاسٍ وصادمٍ متفجّرٍ ومفجّعٍ يستحضّر الحياة الإنسانية لبنت شاتيلا وأرواح ضحاياها؛ لأنّ الموت مهما كان شكله ولونه وطعمه لا يلغي ديمومة الحضور.

الكاتب: [عماد الدين موسى](#)